الاتجاه الدّيـني في شعر البوصيري

- همزيته أنموذجاً -

المدّرس الدّكتور
حاتم ريسان هاشم لطيف الموسوي
المديرية العامة لتربية النجف الأشرف ـ قسم التعليم المهني
Zydamzyd@gmail.com

The Religious Trend in al-Busiri's Poetry

"Its Hamza is as a model"

Lecturer Dr.
Hatem Raisan Hashim Lateef al-Musawi
Department of Vocational Education - General Directorate of Education of Al-Najaf Al-Ashraf

.

الملخص:ـ

يعالج البحثُ دراسةً لشعر شاعرٍ من العصر المملوكي، وهو الشّاعر المصري شرف الدّين أبو عبد الله بن سعيد البوصيري، المتوفّى سنة ٦٩٦هـ، ويتمحور البحث في قصيدة واحدة من ديوانه، وهذه القصيدة تربو على المئتين والستين بيتًا، والأبيات كلّها تنتهي بالهمزة، ومن بحر واحد هو البحر الخفيف.

وقد تناولتُ من هذه القصيدة الجانب الدّيني فكان عنوانًا لبحثي (**"الاتجاه الدّيني في شعر البوصيري" همزيتُهُ أنموذجًا**)، ومن مواطن البحث نكتشف عمق تديّن الشّاعر، وثقافته الواسعة، فضلًا عن رصانة اللغة معبرًا بها بأسلوبٍ واضحٍ بعيدٍ عن الغموض والرّمزية.

الكلمات المفتاحية: الشّاعر، سورة، الخفيف، الأبيات، أمّا، محمّد.

Abstract:-

The research deals with a poetry of a poet from the Mamluk Era, the Egyptian poet Sharaf al-Din Abu Abdulla bi Saeed al-Busairy, (d.696 AH). The search focuses on one poem of his collection. This poem has more than two hundreds verses; all the verses end with a hamza of one meter, which is the light meter.

I have dealt with the religious aspect of this poem which was my research title, (The religious trend in al-Busairy's poetry, its Hamza as a model). Through, we discover the depth of the poet's religiosity and his broad culture as well as the sobriety of language, expressed in a clear manner, far from ambiguity and symbolism.

Keywords: the poet, surah, light, verses, as for, Muhammad, quoted.

المقدمة:ـ

لما كانت دراستي في مرحلة الدّكتوراه متخصصةً في الشّعر المملوكي، لفترة زمنية عاشها العرب أيام حكم المماليك في جزء من أرضنا العربية، وتحديداً في مصر ومن حولها، وكانت الفترة الزّمنية مأتين وخمسة وسبعين عامًا، أي من ٦٤٨هـ إلى ٩٢٣هـ.

وقد تناولت في أطروحتي الموسومة (جدلية الجمود والتغيير في التفاعل اللّغوي مع الثقافة عبر الشّعر، العصر المملوكي أنموذجًا) أغلب شعراء تلك الحقبة الزمنية، واقفا على جوانب شتّى من نتاجهم الشّعري محللا ومفصلا.

أمّا بحثي هذا فقد كان لشاعر فحلٍ من ذلك العصر، هو شرف الدّين أبي عبدالله محمد بن سعيد البوصيري المتوفّى ٦٩٦هـ، ويكفيه شرفًا وفخرًا أنّه رأى في منامه رسول الله i ، وقد ألبسه عباءته؛ وكان على إثرها إنّه قد شفي من مرضه، الّذي أطرحه زمنا طويلا قد يأس أطباؤه من شفائه، لكن كرامة ر سول الله أعجزت ما لم يقدروا عليه.

وقد أخذت من ديوانه قصيدته الهمزية مبيّنا فيها اتجاهه الدّيني، والمقصود به ميل ونزعة الشّاعر الدّينية التي تتجلّى في شعره، وكانت القصيدة تربو على المئتين والسّتين بيتًا كلّها تنتهي بالهمزة، تدلّ على وسع ثقافته العلمية، فضلا عن لغته الرّصينة الواضحة البعيدة عن الكلمات القاموسيّة الصّعبة.

من البوصيري؟

هو محمد بن سعيد بن حمّاد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن ملال الصنهاجي، شرف الدّين أبو عبد الله، كان أحد أبويه[١] من (أبو صير)، والآخر من دَلاص فركبت له نسبة منهما، وقيل الدّلاصيري، لكنه اشتهر بالبوصيري[٢]، ولد في بهشم من أعمال البهنساوية، وكانت وفاته في الأسكندرية، سنة ٦٩٦هـ، أمّا أصله فمغربيّ، ينتمي إلى بني حبنون من قبيلة صنهاجة من قلعة حمّاد[٣].

وأمّا ثقافته فقد تثقّف بثقافة عصره، إذ درس القرآن الكريم من خلال التحاقه بجامع الشّيخ عبد الظاهر، كما أشار إلى ذلك في ديوانه، ولم تقتصر دراسته على القرآن الكريم، وإنّما درس علومًا أخرى كالنّحو والبلاغة والعروض والأدب والتّاريخ والسّيرة النّبوية، ثمّ

اطّلع على أسرار التّصوّف وآدابه وطرقه، وأخذ عن أبي العبّاس المرسي المتوفّى سنة ٦٨٦هـ الّذي خلف أبا الحسن الشّاذلي المتوفّى سنة ٦٥٦هـ في طريقته[٤]. وأمّا عن شخصيته فقد يروى عنه أنّه كان قصيراً نحيفًا، مما دعا بعض النّاس أن يسخروا منه، وهو إزاء ذلك كان يضيق بهم ذرعًا، ويُظهر مقته وكرهه لمن يسخر منه، أو ينتقد شعره، فيهجوه أو يسخر منه كذلك[٥].

وأمّا عمله فقد نشأ في أسرة فقيرة؛ مما دفعه إلى السّعي الحثيث طلبًا للرزق منذ صغره، فقد عمل في كتابة الألواح الّتي توضع على القبور، ثمّ تقرّب إلى أهل الحكم من أمراء ووزراء بقصد نيل عطائهم، فمدح سنجر الشّجاعي وغيره من أمراء المماليك، ويذكر المقريزي كان كريمًا؛ وهذا ما يفسر حاجته الدّائمة، فضلًا أنّه يعيل أسرة كبيرة العدد [٦]. ومن الوظائف التي تقلّدها وظيفة كتابية في بُلبيس، فهي تعتمد على العلم بالحساب ويبدو أنّه كان قليل المعرفة بهذا الفن فكثرت فيه الأخطاء؛ فرماه بعض النّصارى ممن عرفوه بالجهل، فهجاهم هجاءً مرّا[٧].

وقد ذكر الكتبي[٨] في ترجمته له أنّه كان يعاني صناعة الكتابة والتّصرف، وباشر الشّرقية ببليس وليس يعني أنّه كان من المتفننين في الكتابة إذ ليس بين أيدينا من آثاره ما يدل على براعته في الإنشاء، وأقلُّ ما يقال: إنّ وظيفته في الشّرقية كانت حسابية، وليست إنشائية ترسلية. ولم تطل إقامته في وظيفته، فتوجّه إلى المحلّة، ومدح ناظرها ونال منه رزقًا إعانة شهرية، فلقي هناك من الكتّاب النّصارى ما لم يرضه إذ أخّروا عنه ماله فهجاهم أيضا. ويعود بعد جهد إلى القاهرة ليعيد فتح كتّابه، واستقر بها إلى حين وفاته سنة ٦٩٦هـ.

وأمّا مذهبه فقد وقف من المذاهب الدّينية موقفًا وسطًا فلم ير بأسًا في أن يكون القضاء في مصر للمذاهب الأربعة الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، ويرى ذلك من التّوسعة ولا بئس به. وما رأيتُ في شعره إلّا غلبة الجانب الدّيني إذ أنّ العاطفة الدّينية بارزة ومهيمنة على شعره؛ ما جعلني أختار عنوانا لبحثي " **الاتجاه الدّيني في شعر البوصيري** "، واخترتُ قصيدته الهمزية أنموذجًا لهذا الاتجاه، راجيًا أن ألمّ ما استعطت بجوانب هذا البحث، وقد تضمّن البحث الجوانب التّالية.

أوّلًا: الاقتباس من القرآن الكريم

الاقتباس في اللّغة مصدر اقتبس، وقبس، والقبس شعلة من نار، واقتبست منه نارًا، واقتبست منه علمًا، أي: استفدتُه، قال اليزدي: أقبستُ الرّجلَ علمًا، وقبستُه نارًا، فإن كنت طلبتُها له: قلتُ: أقبستُه [٩].

وأمّا في الاصطلاح أن يضمّن النّاظمُ بيته شيئًا من كتاب الله المنزّل أو الحديث النبوي الشريف [١٠]، ومما ورد من الاقتباس في شعره قوله - من الخفيف -:

حَبّــةٌ أنْبَتــتْ ســنابلَ والعَصْــفُ لَدَيْــهِ يَسْتشــرِفُ الضّــعفاءُ[١١]

فإنّ قوله: (حبّةٌ أنبتت سنابل) مقتبس من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٦١، وكما أنّ الأجر مضاعف في الآية الكريمة؛ وهو دليلٌ على كرم الباري غير المحدود، كذا الخير مضاعف في البيت لمن يقوم به، وقد دلّ عليه البيت السّابق له - من الخفيف -:

وإذا ســــخّر الإلــــهُ أناسًــــا لســــعيدٍ فــــإنّهم سُعــــداءُ[١٢]

فعندما يسخّر الإلهُ النّاسَ لشخصٍ، فإنّ التّسخير يكون من باب قضاء حوائجه وخدمته، فهم يقدمون العون له لما يحتاج، فبلا شكّ في هذا الإنسان أن يكون سعيداً وينعم بالراحة؛ ولهذا وصفه بالسّعادة، وكذا النّاس المسخّرون لسعيد فإنّهم سعداء أيضاً؛ لشمولهم بالسّعادة إكراماً لسعيد، فنلاحظ السّعادة أخذت تتوسّع وتشمل الجميع، كما مثّل القرآن الكريمُ أنّ الإنفاق في سبيل الله تعالى يتضاعف كالحبّة الّتي تُنبت سبع سنابل وفي كل سنبلة مائة حبّة ، فوجه الشّبه هو التّوسُّع والانتشار.

ومن الاقتباس في قول الشّاعر - من الخفيف -:

أذكّرتْنــــا بأكلــــها أكــــلَ مِنْســــأ ةِ سُــــليمانَ الأرضــــةُ الخَرســــاءُ[١٣]

فإنّه مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ سبأ ١٤. فقد أشار الشّاعر إلى قصّة موت النّبي سليمان - a -، فقد مات وهو متكأٌ على عصاته، إذ كان يتحدّث مع الجن ثم

سكت وبقي طويلًا ساكتًا، ثُمّ فاجأه الموتُ واستلّ روحه من بدنه، وبقي جثمان النّبي مدّة على حالته، إلى أن جاءت دابّة الأرض، وهي الأرضة فأكلت عصاته من الأسفل، وعندما اختلّ توازنه هوى على الأرض، وبذا علم موته [١٤]، فقالتِ الجنُّ لو كنا نعلم الغيب ما لبثنا في العذاب.

فقد ربط الشّاعر بين حادثة النّبي سليمان - a -، أكل الأرضة لعصاته، وذلك من خلال الاقتباس إذ ذكر أكل منسأته، وحادثة الّذين نقضوا صحيفة قريش، وقد أكلت الدّابة تلك الصّحيفة، ولم يبق منها إلا اسم الله تعالى، وهذا ما أشار إليه الشّاعر في البيت الذي سبق بيت الاقتباس بقوله - من الخفيف -:

نقضـــوا مُبْـــرَمَ الصّـــحيفةِ إذ شـــ ـــدَّت عليهم من العِدا الأنـــداءُ[١٥]

ففي البيت إشارة إلى حصار قريش لرسول الله i ، ومن معه من بني هاشم، إذ همّت قريش بقتل رسول الله - i -، وأجمع على ذلك ملؤهم، وبلغ أبا طالب ذلك الخبرُ فقال - من الخفيف-:

واللّهِ لـــن يصـــلوا إليـــك بجمعهـــم حتّـــى أغيّـــب في التـــرابِ دفينـــا
ودعـــوتني وزعمـــتَ إنّـــك صـــادقٌ ولقـــد صـــدقْتَ وكنْـــتَ ثَـــمَّ أمينـــا
وعرضْـــت دينـــاً قـــد علمـــتُ بِأنّـــهُ مـــن خـــيرِ أديـــان البريّـــةِ دينـــا[١٦]

وذكر اليعقوبي في تاريخه: أنّه لما علمت قريش أنّهم لا يقدرون على قتل محمد، وأنّ أبا طالب لا يسلّمه لهم، وزادهم يقينا ما قاله من الأبيات السّابقة، كتبت الصّحيفة القاطعة الظّالمة ألّا يبايعوا أحدًا من بني طالب، ولا يناكحوهم، ولا يعاملوهم حتّى يدفعوا لهم محمّدًا فيقتلوه، وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وختموا الصّحيفة بثمانين ختمًا !، وكان الّذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار- شُلّت يده - ثُمّ حاصرت قريشٌ رسول الله مع بني هاشم وبني عبد المطلب بن عبد مناف في الشّعب الّذي يقال له: شَعْب بني هاشم، وكان ذلك بعد ست سنين من مبعثه، فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني عبد المطلب في الشّعب ثلاث سنين، حتّى أنفق رسول الله ماله، وأنفق أبو طالب ماله، وأنفقت السّيدة خديجة بنت خويلد مالها، وصاروا إلى حدّ الضُّرّ والفاقة، ثمّ نزل جبريل على رسول الله - i - فقال: إنّ الله بعث الأرضة على صحيفة قريش فأكلت

كلَّ ما فيها من قطيعة وظلمٍ إلّا المواضع الّتي فيها ذكر الله، فأخبر الرّسولُ أبا طالب بذلك، ثُمّ خرج أبو طالب ومعه رسول الله - i - وأهل بيته حتّى صاروا إلى الكعبة، فجلس في فنائها، وأقبلت قريش من كلّ جهة فقالوا:

قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد وأن تشتاق إلى قومك، وتدع اللّجاج في ابن أخيك، فقال لهم: يا قوم احضروا صحيفتكم فلعلّنا أن نجد فرجًا وسببًا لصلة الأرحام وترك القطيعة، وأحضروها وهي بخواتيمهم، فقال: هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها، قالوا: نعم، قال: فهل أحدثتم فيها حدثًا؟ قالوا: اللّهم لا، قال: فإنّ محمدًا أعلمني عن ربّه أنّه بعث الأرضة فأكلت كلّ ما فيها إلّا ذكر الله، أفرأيتم إن كان صادقًا ما تصنعون؟ قالوا نكفّ ونُمسك، قال: فإن كان كاذبًا دفعته إليكم تقتلونه، قالوا: قد أنصفتَ وأجملتَ، وفُضّت الصحيفة، فإذا الأرضةُ قد أكلت كلَّ ما فيها إلّا مواضع باسم الله عزّ وجلّ، فقالوا: ما هذا إلّا سحر، وأسلم يومذاك خلقٌ من النّاس عظيم، وخرج بنو هاشم من الشّعب(١٧).

ومما اقتبس من القرآن الكريم كلمتي (الحبّ والنّوى) بقوله - من الخفيف -:

فهي كالحبِّ والنَّوى أعجبَ الزُّرَّ اعَ مِنْهُ سَنَابُل وزكاءُ(١٨)

فإنّهما مقتبستان من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ الانعام ٩٥

لقد استخدم الشّاعر الاقتباس تشبيهًا بالحبِّ والنّوى إذ أنّ الله تعالى يشقّ الحبّة اليابسة والنواة اليابسة؛ ليخرج منها الشّجر والنّخل(١٩)، وهذا دليل على قدرته الّتي لا تضاهيها قدرة أحد، فإنّ الشّاعر يرد على أولئك المشككين بالقرآن الكريم المعجز في لغته ومعانيه وصياغته، وقد تبيّن من خلال الأبيات الّتي تقدمت هذا البيت، إذ قال - من الخفيف -:

أعجزَ الإنسَ آيةٌ منه والجنُّ فهلّا يأتي بها البُلغاءُ

كلُّ يومٍ تُهدي إلى سامعيه مُعجزاتٍ من لفظه القُرّاءُ

تتحلّى به المسامعُ والأفـ ـواه فهو الحُلِيُّ والحَلْواءُ

وأرثّنا فيه غوامضَ فضلٍ رِقّةٌ من زُلالها وصفاءُ

كـــم أبانـــتْ آياتُـــهُ مـــن علـــومٍ عـــن حُـــروفٍ أبـــان عنـــها الهجـــاء

ثم ذكر البيت الّذي فيه الاقتباس؛ ليبيّن أن القرآن معجزٌ لا يستطيع أن يأتي به أحد، كالحَبّ والنّوى اللّتان يكونان يابستين ثُمّ إذا وضعا في التّربة بعد سقيهما في الماء ينشقان فيخرج منهما الزّرع، وهذا المنظر يعجب الزّرّاع فضلا عن الإقرار منهم بعظمة الخالق، فإنّها حقّا آية عظيمة كممت أفواه المعاندين والمكذبين.

وقد قال مقتبساً- من الخفيف -:

حـــين ألقـــوه في غيابـــة الجـــبِّ وَرَمَـــوهُ بالإفـــكِ وهـــو بَـــراءُ[٢٠]

فإنّه مقتبس من قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ يوسف ١٠، فإنّ البيت مقتبس من قصة النّبي يوسف - a - وأخوته حين ألقوه في غيابة الجبّ، وقد ربط الشّاعر بين ظُلامة النّبي يوسف - a -، وظلم أحد أبناء النّبي - آدم a - لأخيه في قضية ظلم الأخ لأخيه، إذ قتل قابيلُ هابيلَ، فكان ذكره لحادثة قتل قابيل لهابيل في أبيات سبقت البيت موضع الشاهد، فقال - من الخفيف -:

قـــد علمـــتم بظلـــم قابيـــل هابيـــلَ ومظلـــومُ الإخـــوةِ الأتقيـــاءُ

وسمعـــتم بكيـــد أبنـــاء يعقـــو بَ أخـــاهم وكلَّهـــم صـــلحاءُ[٢١]

فقد اقتبس من القرآن ما ذكرنا في بيته ربطًا بين الأحداث بقوله: (حين ألقوه في غيابة الجبِّ...).

ومن الحوادث التي ذكرها القرآن الكريم حادثة معركة الخندق، فكانت حاضرة فقد أشار الشّاعر إلى يوم الأحزاب، وذلك أنّه صرّح بيوم الأحزاب، إشارة إلى معركة الخندق سنة ٦هـ، والّتي أنزل الله جلّ وعلا قرآنا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ الأحزاب ١٠، ففي الآية جانبان: الجانب الأوّل قوله (زاغت الأبصار)، فكلمة (زاغت) مشتقة من مادة الزّيغ، وهو الميل إلى جانب واحد، وهو إشارة إلى الحالة الّتي يشعر بها الإنسان في حالة الخوف والاضطراب، حيث تميل عيناه إلى جهة واحدة، وتثبت على نقطة معينة، ويبقى الشّخص متحيّراً حينذاك.

وأمّا الجانب الثّاني (بلغت القلوبُ الحناجر) كناية عن حالة القلق والاضطراب، وإلّا فإنّ القلب المادي لا يتحرّك من مكانه مطلقاً، ولا يصل إلى الحنجرة[٢٢].

ويبدو أنّ سبب الزّيغ وبلوغ القلب للحنجرة هولُ الموقف وصعوبته الّتي لا تطاق. إذ نسى الرّجال رجولتهم، وأصبحوا في حالة من الذّعر والهلع، رغم أنّهم بقيادة رسول الله- i -، وهو بين ظهرانيهم؛ لأنّهم كانوا خلف الخندق الّذي حفروه، وهو بالنسبة لهم حصن أمين، وفجأة يرون خمسة من أبطال العرب قد قفزوا بخيولهم الخندق رغم عرضه وعمقه، وكان يقودهم عمرو بن عبد ودّ، وهو رجل يشهد له بشجاعته حتى عندما نزل للمبارزة مع الإمام علي- a -، إذ قال الرّسول مقولته الشهيرة: لقد برز الكفرُ كلُّه إلى الإيمان كلِّه، فإنّ شجاعة عمر بن ود تعادل شجاعة أهل الكفر في ذلك الزّمان، وهذا تعريض بشجاعة الإمام علي - a - الّتي فاقت شجاعة الكافرين، وإنّه مثّل شجاعة الإيمان كلّه.

فقد فقال - من الخفيف -:

وَبيـــومِ الأحـــزابِ إذ زاغـــتِ الأبـــ ـــــصارُ فـــيهم وضـــلّتِ الآراءُ[٢٣]

لقد وفق الشّاعر في وصف ذلك اليوم بقوله: (ضلّتِ الآراءُ)، وضلّت هنا بمعنى تاهت، وهذا الضّلال يتفق تماما مع زيغ الأبصار وبلوغ الحناجر.

وهناك اقتباس آخر من سورة الإنسان: فإنّ الشّاعر يذكر يومه المليء بالكآبة والحزن وفقدان الرّاحة من واقعه المرير فقال - من الخفيف -:

ضِـــقْتُ ذَرعًـــا مِمّـــا جَنَيْـــتُ فَيـــومِي قَمطريـــرٌ ولـــيلتي دَرْعـــاءُ[٢٤]

لقد عبّر عن يومه المليء بالنحس باليوم القمطرير مقتبسا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ الإنسان ١٠، فالقمطرير اليوم شديد الشر، وهو شديد العبوس[٢٥]، ولم يكتف الشّاعر بيومه النّحس، بل كان هذا النّحس يمتد إلى ليلته الّتي وصفها بالدّرعاء، أي: المظلمة. ولكن هذا البؤس لم يدم طويلًا، بل انجلى بمجرد تذكر رحمة ربّه فقال - من الخفيف -:

وتـــذكرْتُ رَحمـــةَ اللهِ فالبِشْـــ ـــرُ لـــوجهي أنّـــي أنتحـــي تِلْقـــاءُ[٢٦]

وأمّا في البيت – من الخفيف –:

النّبيُّ الأميُّ أعلمُ مَنْ أسندَ عنْه الرُّواةُ والحُكماءُ[٢٧]

فقد اقتبس الشّاعر كلمتي (النّبيّ الأميّ) من سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الأعراف ١٥٧.

أشار الشّاعر إلى قضية "أميّة النّبي"، ولا بأس باستعراض هذه القضية ولو استطراداً، أنّه هل كان النّبيّ – i – أمّيًا لا يعرف القراءة والكتابة؟ والحقيقة في هذا الموضوع جدل بين أهل العلم في أميّة الرّسول، وهناك أراء مختلفة فمنهم من قال:

١- إنّه لم يتعلم القراءة والكتابة، وهذا يعني أنّه باقٍ على الحالة الّتي ولد عليها، ولم يتتلمذ على أحد.

٢- وبعضهم قال إنّه نسب إلى الجماعة، وهم جماهير الأمّة من طبقة الأعيان والمترفين والجبارين.

٣- وهناك رأي أنّه نُسبَ إلى مكّة " أمّ القرى "، فهذه الكلمة مرادفة إلى كلمة "أمّي "[٢٨].

ولكن في سورة الجمعة بيّن جلّ وعلا أنّ النّبيَّ يعلّم النّاسَ ويتلو عليهم آياته، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة٢، ولعلّ الشّاعر انتصر إلى قضية العلم بقوله: (أعلم مَنْ أسند عنه...) فكيف يتلو الكتاب، ويعلمهم الحكمة، وهو أميٌّ لا يعرف القراءة والكتاب؟!.

وأما أصحاب النّبي i فقد ذكرهم إذ اقتبس من القرآن الكريم من سورتي المائدة والتّوبة من قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المائدة ١١٩، وكذا، في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ التوبة ١٠٠.

فقال من الخفيف:

كلُّهـــم في أحكامـــه ذو اجتهـــادٍ وصـــــوابٍ وكلّـــــهم أكـــــفاءُ
رَضـــيَ اللّهُ عَنْهُـــمُ ورضُـــوا عنـــــ ـــهُ فـأنّى يَخْطـو إلـيهم خَطـاءُ[٢٩]

وقد ضمّن بيته في كلمة الحواريين التّي وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ المائدة ١١١، فقال في وصف أحباب النّبي i كحواريي عيسى a - من الخفيف -:

وَحَواريِّـــكَ الـــزّبيرِ أبي القَـــرْ مِ الّـــذي أَنجَبَـــتْ بِـــهِ أسمـــاءُ[٣٠]

وقد وظّف الشّاعر زوجة أبي لهب التّي هي حمّالة الحطب كما ورد فيقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ المسد ٤، فقد قال- من الخفيف -:

وأعـــدَّتْ حَمّـــالةُ الحَطَـــبِ الفِـــهْ ـــرِ وَجَـــاءتْ كأنَّهـــا الوَرقَـــاءُ[٣١]

وأمّا اليهود وما طلبوه من النّبي موسى a من استبدال البصل والثّوم والعدس والقثّاء بدلا من المنّ والسلوى، وهما طعامان لذيذان، واختلف المفسرون فيهما، فمما قيل فيهما: إنّ المنّ هو مادة تشبه العسل، والسّلوى طائر لحمه لذيذ يعرف بالسُّمن[٣٢]، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ البقرة ٥٧.

وذكر الشيخ محمد جواد مغنية في الكاشف انّ الآية ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ...﴾ "جرى ذلك حين خرج الإسرائيليون من مصر، وتاهوا في صحراء سيناء حيثُ لا بنيان ولا عمران، فشكوا إلى موسى حرَّ الشّمس، فأنعم الله عليهم بالغمام يظلّهم، ويقيهم حرَّ الهاجرة، وأنعم عليهم أيضًا بالمنّ والسّلوى يأكلون منهما بالإضافة إلى ما تيسر لهم من الأطعمة"[٣٣]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة ٦١.

إذ وظّف الشّاعر هذه الظاهرة، ووصفهم بالسّفه؛ لاستبدالهم الأدنى بالذي خير، فقال من - الخفيف -:

وسَفَـــيهٌ مـن أسـاءه المَـــنُّ والسّلـــوى وأرضـــــاهُ الفُـــــومُ والقثّـــــاءُ[٣٤]

ثانياً: معجزات النّبي i :

لكلّ نبيٍّ معجزةٌ يظهرها للنّاس لإقامة الحجّة عليهم، ولابدّ أن تكون ظاهرة الإعجاز بين النّاس على وجه يعجز عنه علماؤهم فضلًا عن سائر الناس، مع اقتران تلك المعجزة بدعوى النّبوّة؛ للتأكّد من صدق وصحة دعواه، وهي شيءٌ خارق للعادة يتحدّى به الآخرين؛[٣٥] لإثبات نبوّته، كما أبطل النّبي موسى- a - سحر سحرة فرعون، إذ سحروا أعين النّاس بأن كانت عصيُّهم حياتٍ، ثمّ ألقى النّبي عصاه فإذا هي ثعبان كبير ابتلعت ما يؤفكون، وعندها عجز السّحرة أمام ما جاء به موسى- a -، حتّى خرّوا له ساجدين، وقالوا آمنّا برب موسى وهارون، وما قادهم لهذا الاستسلام إلّا معجزة موسى الّتي عجزوا عن الإتيان بها، وعلى العموم لموسى a تسع معاجز، لسنا بصددها.

وأمّا معجزة عيسى a فهي إحياء الموتى وإبراء الأكمه - وهو الّذي يولد أعمى - إذ كان في زمن عيسى أن الطّبّ مزدهر وفي أوج ازدهاره، فجاء النّبي عيسى- a - بأقوى ما كان موجوداً تحديّا لهم لإثبات قدرة ربّه، ودليلًا على نبوّته فإنّه مسدد من قبل الله عزّ وجلّ.

وأمّا معجزة سيّدنا ونبينا محمد- i - فهي القرآن الكريم، فقد أعجز البلغاء والمتكلمين واللّغويين بلغته وأسلوبه، وهي معجزة خالدة ليومنا هذا، وهناك معاجز أخرى كثيرة سنمرّ بها في مواطن البحث، وأمّا إذا صدر العمل الخارق من عبدٍ صالح، ولم يدّع النّبوّة سُمّي كرامةً[٣٦]. ولا بأس بذكر معاجز نبينا i فمنها:

ظهور المعجزات عند رضاعته i :

أمّا المعاجز الّتي ذكرها الشّاعر فهي حصراً لما أظهرها نبيّنا محمّدٌ - i - إثباتًا لنبوّته. فمما جاء في همزيته - من الخفيف -:

وَبــدتْ فـــي رَضــاعهِ مُعجــزاتٌ ... لــيْسَ فيهــا عــنِ العيــون خَفــاءُ
إذا أَبَتْـــهُ لِتُتْمِـــهِ مُرْضِـــعاتٌ ... قُلْـــنَ مــا في اليتــيمِ عَنّــا غَنَــاءُ
فــأتتهُ مــن آلِ سعــدٍ فتــاةٌ ... قــد أبَتْهــا لِفقــرِها الرُّضَعــاءُ
أرضـــعتْه لِبانَهـــا فسقَتْـــها ... وَبنيـــها ألبـانَـهُـــنَّ الـــشّاءُ
أصــبحتْ شِــوْلًا عِجافًــا وأمسَــتْ ... مــا بهــا شــائلٌ ولا عجفــاءُ
أَخْصَــبَ العَــيْشُ عنــدها بعــدَ مَحْــلٍ ... إذ غَـــدا للـــنبيِّ منـــها غِـــداءُ
يــا لهــا مِنّــةٌ لقــد ضُــوعِفَ الأجْـــ ... ـــرُ عليهــا مــن جِنْسِــها والجــزاءُ[٣٧]

الأبيات المتقدمة تحكي قضية رَضاعة حليمة السّعدية - رضوان الله عليها - للنّبي محمّد i ، وما رافق هذه الرّضاعة الميمونة من كرامات[٣٨] خارقة للعادة في المجتمع آنذاك، فقد روى ابن إسحاق[٣٩] بسنده إلى أبي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن حليمة بنت أبي ذؤيب السّعدية أنّها كانت تقول: إنّها خرجت من بلدها مع زوجها الحارث بن عبد العزّى من بني هوازن ومعها رضيعها عبد الله بن الحارث، ومعها نسوة من بني سعد كلّ واحدة منهنّ تلتمس رضيعًا ترضعه ترجو المعروف من أبيه، وذلك في سنة مجدبة لم تُبقِ لهم شيئًا، وما أرضٌ أجدب من بلاد بني سعد، فما كان في ثدييها ما يُغني صبيّها الرّضيع حتّى كانوا ما ينامون اللّيل من بكائه من الجوع، وكان لها ناقةٌ مسنةٌ ما ترشح بشيءٍ يغذيهم، وكانت هي راكبة على أتان يتخلف عن الرّكب ضعفًا وهزلًا.

حتّى قدموا إلى مكّة، فما بقيت امرأة ممَن مع حليمة إلّا أخذت رضيعًا سوى حليمة، وكلّما كان يعرض رسول الله- i - على امرأة منهنّ ويقال لها إنّه يتيم، فتأباه المرضعات ليتمه، وبقيت حليمة ولم تحصل على رضيعٍ لترضعه، ولم يبق رضيعٌ سوى ذلك اليتيم محمّد بن عبد الله، عندها قالت حليمة: فقلت لزوجي: والله إنّي لأكره أن أرجع وأنا بين صواحبي لم آخذ رضيعًا، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم فأخذنَّه، قال زوجي:

لا عليكِ عسى أن يجعل للنّاقة بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلّا إنّي لم أجد غيره، ورجعت به إلى رحلي ووضعته في حجري، وأقبل عليه ثدياي بما شاء من اللّبن فشرب حتّى روى، وشرب معه أخوه فروى، وقام زوجي إلى ناقتنا فإذا ضرعها مليء باللّبن فحلب وشرب وشربت معه حتى روينا.

فقال لي صاحبي: يا حليمة لقد أخذت نسمةً مباركةً، فقلت: والله إنّي لأرجو ذلك. ثُمّ قدمنا منازلنا من بلاد سعد، فلم نزل نتعرّف من الله الزّيادة والخير، وكانت غنمي ترجع إلينا بعد العصر شِباعًا قد امتلأ ضرعها من اللّبن، وترجع غنم القوم جياعًا لا ترشح بقطرة لبن.

لقد أوجز الشّاعر قصّة الرّضاعة وما رافقها من أمورٍ معجزة في الأبيات المتقدمة بلغة سهلة واضحة لا يشوبها الغموض، فالسّلام عليك يا رسول الله لقد بُعثتَ رحمةً للعالمين.

شقُّ الصّدر:

إنّ قصة شق صدر رسول الله- i - وهو طفل أثارها أصحاب السّير والمهتمين بشأن حياة الرّسول، ومهما كان أمرها فقد وظّف شاعرنا هذه الحادثة في شعره فقال - من الخفيف -:

شُــقَّ عَــنْ قلبــه وأُخــرجَ مِنْــهُ مُضــغَةٌ عِنــدَ غسْــلِهِ ســوداءُ[٤٠]

لا شكّ في أنّ الشّاعر قد قرأ سيرة ابن هشام، وما رواه الطّبريُّ في حادثة شق صدر النّبي عندما كان صغيرًا؛ لتنظيف قلبه من الأدران، ومن ثمّ يكون القلب خاليًا من الأحقاد، وقد رويت الحادثة بروايات مختلفة، ولعلّ أقربها إلى المعقول إنْ صحّ التّعبير ما رواه الطّبري بسنده عن ثور بن يزيد عن مكحول الشّامي عن شداد بن أوس عن النّبيّ- i - أنّه قال: كنت ذات يوم مع أترابٍ[٤١] لي من الصبيان في بطن وادٍ نتقاذف بالجلّة[٤٢]، إذ أتانا رهطٌ ثلاثة معهم طست من ذهب مليء ثلْجًا، فأخذوني من بين أصحابي، وخرج أصحابي هاربين حتّى انتهوا إلى شفير الوادي ثمّ انطلقوا إلى الحي؛ ليخبروا قومهم، فعمد أحدُ الثلاثة فأضجعني على الأرض، ثمّ شقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، ثمّ أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج، ثمّ أعادها مكانها، ثمّ قام الثّاني منهم وأدخل يده في جوفي فأخرج قلبي، ثمّ أخرج منه مضغةً سوداءَ فرمى بها، فإذا أنا بخاتم في يده، فختم به على قلبي فامتلأ نورا، وذلك نور النّبوّة والحكمة، ثمّ أعاده مكانه، فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرًا، ثمّ قام الثالث فأمرَّ يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأمَ ذلك الشّقُّ بإذن الله، ثمّ أخذ بيدي فأنهضني[٤٣]. فقد ذكر الشّاعر ختم يد الأمين جبريل a على قلب النّبي من تلك السّاعة:

خَتَمَتْـــهُ يُمـــنى الأمـــينِ وقـــد أو دعَ مـــا لم تُـــذَع لـــهُ أنبَـــاءُ[٤٤]

ومهما تكن الرّواية فثمّت شكوك في صحتها أصلًا، فالّذي اختار محمّدًا منذ صغره، وجعل له معجزات منذ رضاعته، وأنّ الله تعالى خالق نفس محمّد- i - وهو العليم الحكيم، ألا يجعل له قلبًا طاهرًا مطهراً من دون اللّجوء لهذه العملية الجراحية والّتي أراها من عمل الآدميين، لعجزهم عن المعجزات، وأمّا قدرته تعالى فلا حدود ولا وصف لها، ولكن بما أن هذه القضية وردت في السّير فقد آمن بها شاعرنا ووظّفها في شعره.

أظلتـه سحابةٌ:

وقد وظّف شاعرنا معجزة أخرى لرسول الله- i -، وهي أنّ سحابةً أظلّته فكانت له حاجزًا من حرارة الشّمس، فهي كالمظلّة تظلّه حيثما سار وارتحل في ذلك الجو الحار اللّاهب، وقد ذكرها الشّاعر فقال - من الخفيف -:

ورأتْـــهُ خديجـــةٌ والتّقـــى والـــزّ هـــدُ فيـــه ســـجيّةٌ والحيـــاءُ
وأتاهـــا أنّ الغمامـــةَ والســـر حَ أظلتْـــهُ منـــهما أفيـــاءُ[٤٥]

والمقصود بخديجة هي خديجة بنت خويلد زوج رسول الله- i -، فيما بعد هذه الحادثة، وكان في الخامسة والعشرين حين أظلته الغمامة، وهو في طريقه للشام عندما سار بتجارة لخديجة آنذاك، وهذه الحادثة موثقَة في كتب السّير والتّاريخ، فقد روى الرّاوندي في كتابه (الخرائج والجرائح)، عن جابر أنّه قال: كان سبب تزويج خديجة محمّدًا- i - أنّ أبا طالب قال: يا محمّد: أنّي أريد أزوّجك، ولا مال لي أساعدك به، وإنّ خديجة قرابتنا، تخرج كلّ سنة قريشًا في مالها مع غلمانها، يتّجر الرّجل لها ويأخذ حمل بعير مما أتى به فهل لك أن تخرج؟.

فخرج أبو طالب إليها وقال لها ذلك، ففرحت وقالت لغلامها ميسرة: أنت وهذا المال كلّه بحكم محمّد- i -. وربحا في ذلك السّفر ربحًا كثيرًا، فلمّا انصرفا قال ميسرة: لو تقدمت يا محمّد إلى مكّة وبشّرت خديجة بما قد لكان أنفع لك! فتقدّم محمّدٌ على راحلته، وكانت خديجة في ذلك اليوم جالسة في غرفة لها مع نسوة، فظهر لها محمّد راكبًا، ونظرت خديجة إلى غمامة عالية على رأسه تسير بسيره!.

فقالت: إنّ لهذا الرّاكب لشأنًا عظيمًا ليته جاء إلى داري! فإذا هو محمّد قاصدٌ دارها، فنزلت حافيةً إلى باب الدّار، ولمّا رجع ميسرة حدّث: أنّه ما مرّ بشجرة ولا مدرة إلّا قالت: السّلام عليك يا رسول الله! (٤٦).

حنين الشّجـرة:

من معجزاته - i - الّتي وظّفها الشّاعر حديثُ الشّجرة وحركتها إليه

فقال - من الخفيف -:

وَسَـــلَوهُ وحـــنَّ جِـــذْعٌ إليـــه وقلَـــــوه وودّهُ الغربـــــاءُ(٤٧)

يذكر الشّاعر في هذا البيت حنين الجذع، ويعد من إحدى معجزاته - i ، عندما صُنع له منبرٌ، حيث كان يقف عليه خطيبًا، فلمّا تركه وصعد المنبر سُمع له حنينٌ شوقًا إلى النّبي فالتمسه حتّى هدأ، وأراد الشّاعر بالغرباء أهل المدينة (٤٨).

الحمامة ونسيج العنكبوت يوهمان العدو:

ثُمَّ يذكر معجزةً أخرى لرسول الله i أن الحمامة التّي باضت في باب الكهف، والعنكبوت الّذي بنى بيته في باب الكهف؛ لايهام العدو بأنّه غير موجود في الكهف الّذي آوى إليه الرّسول i ومن معه، فقال - من الخفيف -:

أخرجـــوه منـــها وآواه غـــارٌ وحمتْـــهُ حَمامـــةٌ ورقـــاءُ

وكفتْـــهُ بنســـجها عنكبـــوتٌ مـــا كفتْـــهُ الحمامـــةُ الحَصـــداءُ(٤٩)

واختفـــى منـــهم علـــى قُـــربِ مَـــرآ هُ ومـــن شِـــدّةِ الظهـــور الخَفـــاءُ

في هذه الأبيات أنّ الشّاعر وظّف قضية خروج رسول الله- i - من مكّة، إذ أجمعت قريش آنذاك على قتله، وقد أجمعوا جميعًا على أن يأتوا من كلّ قبيلة برجل فيضربوه بسيوفهم ضربةَ رجلٍ واحدٍ؛ فلا يكون لبني هاشم قوّة بمعاداة جميع قريش، فلما بلغ رسول الله - i - أنّهم أجمعوا على قتله، وأن يأتوه في ليلة اتفقوا عليها، فخرج رسول الله- i -، عندما اختلط الظّلام، ومعه أبو بكر، وبقي الإمام علي- a - نائمًا في فراشه؛ ليوهمَ الأعداء، ثمّ عندما صاروا إلى الغار فكمنا فيه، وجاء قريش تتبع أثرهم، فلمّا وصلوا إلى الغار، وقد نسج العنكبوت في باب الغار، وجاءت حمامة فباضت ونامت على بيضها،

فقالوا: لو دخل محمّد الغار لخرق بيت العنكبوت، ولطارت هذه الحمامة، ولم يبق عشُّها، وعندها أيقنوا أنّه لم يدخل محمّدٌ في هذا الغار انصرفوا[٥٠]؛ وبذلك أنجا الله تعالى نبيه من كيد الكافرين، إنّه نعم المولى ونعم النّصير.

انشقاق القمر:

من معجزاته- i - انشقاقُ القمر، حينما طلب المشركون ذلك منه، فقد التقى به الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن وائل، والعامر بن هشام، والأسود بن عبد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والنّظر بن الحارث، وقالوا: " إن كنت صادقًا فَشِقْ لنا القمر فرقتين نصفين، نصفٍ على أبي قُبيس، ونصفٍ على قيقعان"[٥١].

وانبرى النّبي- i - قائلًا لهم: إن فعلتُ تؤمنون؟ قالوا: نعم، فسأل الله تعالى أن يعطيه ما طلبوا، ولم يلبثوا إلّا قليلًا إلّا انشق القمر نصفين، نصفًا على أبي قُبيس، والآخر على قيقعان، ورسول الله ينادى:

"يا أبا سَلَمةَ بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم، اشهدوا، ولكنَّ القوم لم يؤمنوا بذلك بأنّه من آيات الله تعالى، وأصروا على البغي والفساد"[٥٢]. فقد وظّف الشّاعر هذه القصة في شعره، فقال - من الخفيف -:

شُقَّ عَنْ صدره وشُقّ لهُ البَدْ ... رُ وَمِن شَرطِ كلِّ شرْطٍ جزاءُ[٥٣]

ذكر في صدر البيت قضية شق الصّدر الّتي أشرنا إليها، ثُمّ ذكر شقًّا آخر هو انشقاق القمر، وبهذا جمع الشّاعر عملتي الشّق في بيتٍ واحدٍ

الإسراء والمعراج:

من معجزات الرّسول- i - الإسراءُ والمعراجُ، واللّتان لم تغيبا عن فكر الشّاعر ولاسيّما اتجاهه الدّيني الّذي اتسم به في شعره، فقال - من الخفيف -:

فطوى الأرضَ سائرًا والسّموا ... تِ العُلا فوقَها له إسراءُ

فصف اللّيلةَ الّتي كانَ للمُخـ ... ـتارِ فيها على البُراقِ استواءُ

وترقى به إلى قاب قوْسَيْـ ... ـنِ وتلكَ السّيادةُ القعْساءُ[٥٤]

إنّ قضية الإسراء والمعراج معجزتانِ أعجزتا العقول، وهما يدلان أن الله سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ قدير، سبحانه لا يعجزه شيءٌ، وإذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، والإسراء معجزة أرضية، إذ قطع رسول الله - i - المسافة من مكّة حيث المسجد الحرام إلى القدس بدقائق إن لم نقل ثوانٍ، وأمّا المعراج فهو معجزة سماوية، فقد انتقل من الأرض من بيت المقدس إلى أن قطع سبع سماوات ورأى من آياتِ ربّه ما رأى، وهذه المعجزة هي صعود بخلاف الإسراء الّتي هي قطع المسافة بشكل أفقي، وقد ذكرت هاتان المعجزتان في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء ١. ثُمَّ ذكر الشّاعر أن النّبي - i - كانَ راكبًا دابةً تسمّى البُراق، هذه الدّابّة ليس كالدّواب المعروفة الّتي يمتطيها النّاس البسطاء، فهي بحد ذاتها معجزة، وذكر أنّه وصل في قربه إلى القدرة بمسافة قصيرة جدًا، وصفها القرآن الكريم قاب قوسين أو أدنى. قال تعالى في سورة النّجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ النجم ٨-٩.

ثالثاً: مدح النّبي i :

المدح غرضٌ عرفه الشّعرُ العربي منذُ نشأته، ويقوم على ذكر محاسن الأشخاص في أخلاقهم ومآثرهم النبيلة الّتي تتمثّل بالكرم والشّجاعة والمروءة والعلم والفضائل الأخرى، وقد نظّم فيه الشّعراء كثيرًا من القصائد الّتي تغنت بفضائل ممدوحيهم، وثَمّ أسباب للمدح منها لنيل العطاء والصّلات من الممدوح، وأمّا شاعرنا فقد صدحت قريحته الشّعرية بمدح رسول الله - i -، وهو أهلٌ للمدح والثّناء والوصف لكلِّ فضيلة، وما كان من وراء مدحه إلّا لينال رضا رسول الله- i -، ومنه الوصول إلى رضا الله تعالى من خلال رسم الصّورة المشرقة، وهي الحقيقة عن الرسول الأكرم، فمما قال في مدحه لرسول الله- i - من الخفيف-:

كيفَ تَرقى رُقيَّكَ الأنبياءُ ... يا سماءً ما طاولتْها سماءُ

لمْ يُساووكَ في عُلاكَ وقد حا ... لَ سنًا مِنكَ دونهم وسَناءُ

إنّما مثّلوا صِفاتك للنّا ... سِ كما مثَّلَ النّجومَ الماءُ

أنـت مِصـباحُ كـلِّ فضْـلٍ فمـا تَصـ ـدُرُ إلّـا عـن صـوتِكَ الأضـواءُ
لـكَ ذاتُ العلـومِ مـن عـالمِ الغيْـ ـبِ ومنـها لآدمَ الأسمـاءُ
لم تـزلْ في ضـمائرِ الكـون تَختـا رُ لـك الأمـهاتُ والآبـاءُ
مـا مضـتْ فترةٌ مـن الرُّسـلِ إلّـا بَشّـرتْ قومَهـا بِـكَ الأنبيـاءُ
تتبـاهى بـكَ العصـورُ وتَسْـمو بِـكَ عليـاءُ بعـدها عليـاءُ
وبـدا للـوجودِ منْـكَ كـريمٌ مـن كـريمٍ آباؤهُ كُرمـاءُ(٥٥)

يصف الشّاعرُ الرسول- i - كالسّماء التي لا تضاهيها وتساويها سماءٌ أخرى، ولعلّه استخدم أسلوب الكناية؛ ليعبّرَ عن سعة خُلُقه وكرمه ونبله، فضلًا عن أنّه يتمتّع بكلّ فضيلةٍ، فإنّ الأنبياء السّابقين لم يساووه في علوّ شأنه، وقد أحسن التّشبيه فقد شبّه صفاته الحميدة كالنّجوم المرتفعة في السّماء، وإنّها تلألأ في الماء الصّافي، ولعلّ وجه الشبه بين النّجوم وصفات رسول الله - i - صفاء السّمعة الطيبة الّتي لا تشوبها شائبة، ولعلّه يريد من ذلك أنّ الرسول معروف في الأرض والسّماء.

استعمل الشّاعر الجناس غير التام في قوله: (السّنا - السّناء) فالأولى تعني الضّوء، والثانية تعني الرّفعة، وهذا التجنيس يضفي على النّص جمالًا، وكذا وظّف التشبيه الجميل في قوله: (أنت مصباحٌ). فالمشبه الرسول والمشبه به المصباح، والجامع بينهما الضوء والإنارة، فكما يضيء المصباح المكان كذلك الرسول ينير ويجلو كل الظلمات. واستعمل التشخيص وهو نسبة صفة البشر إلى أفكار مجردة، أو أشياء لا تتصف بالحياة في قوله: (تتباهى بك العصور). فقد جعل العصور كائناً حيًّا تفتخر بالرسول(٥٦) ثُمَّ نجد المدح في موضع آخر من القصيدة فقال- من الخفيف -:

سـيّدٌ ضِحْكـهُ التَّبَسّـمُ والمَشْـ ـيُ الهُـوَيْنا ونوْمُـهُ الإغفـاءُ
رحمـةٌ كلُّـهُ وَحـزْمٌ وَعـزْمٌ ووقـارٌ وعِصْمَـةٌ وحيـاءٌ
لا تحُـلُّ البأْسـاءُ منـهُ عُـرا الصَّـ ـبْرُ ولا تسْـتَخِفّهُ السَّـراءُ
كَرُمَـتْ نفسُـهُ فَمـا يخْطُـرُ السُّـو ء علـى قلبـه ولا الفحشَـاءُ
عَظُمَـتْ نِعْمَـةُ الإلـه عليـه فاستَقَـلَّتْ لِـذكرهِ العُظمـاءُ

جِهِـــلتْ قومُـــهُ عليـــه فأغضـــى ... وأخـــو الحِلْـــم دأبُـــه الإغْضـــاءُ
وَسِـــعَ العـــالمين عِلمـــاً وحلمـــاً ... فهـــو بحـــرٌ لم تُعْيِـــهِ الأعبَـــاءُ
شمـــسُ فضـــلٍ تَحَقّـــقَ الظّـــنُّ فيـــه ... أنّـــهُ الشّـــمسُ رِفْعَـــةٌ والضّـــياءُ(٥٧)

المدح لمستحق المدح والثّناء سيّدنا رسول الله i يتجلّى في كلّ الأبيات، ففي البيت الأوّل ضحكه كان التّبسم، بمعنى أنّه لا يتقهقه في ضحكه، فلا يعلو صوته، وربما يتخذ التّبسم والطّلاقة في وجوه أصحابه؛ ليزيل عنهم الهمّ ويبعث فيهم روح التفاؤل، وأمّا مشْيهُ فكان الهُوينا، وتلك صفات عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان٦٣.

ومن صفاته الحميدة نومه إغفاءةٌ، أي: لا يكون نومًا ثقيلًا، ولعلّه يريد بذلك أنّه تجده يقظًا؛ لأنّه كثير الذّكر لله تعالى فضلًا عن أنّه قائدٌ عسكريٌّ لقيادة الأمّة وحرصه على أمته من أعدائها. ثُمّ يذكر أنّه- i - رحمةٌ، وهذه الصّفة صرّح القرآن الكريمُ بها، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء ١٠٧.

نعم رسول الله - i - رحمة للعالمين، هذا ما أخبرنا به الله تعالى في قرآنه المجيد. فلا يستطيع أحدٌ أن يلمَّ بالصّفات الحميدة للرسول الكريم، فقد اجتباه الله تعالى واختاره أن يكون قدوة للأمة بمعنى القدوة، فضلًا عن أنّه معصوم؛ ولهذا أمرنا الباري تعالى بإطاعته في الأمور كلّها، فلو لم يكن معصومًا من الزّلل لما أمرنا تعالى بإتباعه.

رابعاً: واقعة كربلاء

ويذكر الشّاعر في قصيدته واقعة كربلاء ومظلومية الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب- K -، فهي لم تغب عنه؛ لارتباط الحسن والحسين بجدّهما الرسول الأكرم i ، وقد بدأ ذكره للقضية أنّه ذكر الحسن والحسين، فوصفهما بأنّهما ريحانتا رسول الله - i - فقال- من الخفيف -:

وبريحـــــانتَيْنِ طـــــيبُها مِنْـــــ ... ـــــكَ الّـــذي أوْدعتْهمـــا الزّهـــراءُ
كُنْـــتَ تُؤويهمـــا إليـــكَ كمـــا آ ... وَتْ مـــن الخـــطِّ نُقطتَيـــها اليـــاءُ(٥٨)

لقد ذكر الشّاعر أنّ الحسنين هما ريحانتا رسول الله - i - وهو بذلك اعتمد على حديث رسول الله: " الحسن والحسين ريحانتايَ من الدّنيا " [٥٩]، فذكر أنّ هاتين الريحانتين يستمدان عطرهما من عطر رسول الله- i -، ثم أنّ الرّسول كان يؤويهما كما يُؤوي حرف الياء نقطتيه، وهو تشبيهٌ جميل ووجهُ الشّبه فيه قربهما من الرّسول بحيث يعيشان معه وتحت كنفه، ولن يفترقا منه، وهذا يدلّ على أنّهما يحذوان حذوَ الرسول في القول والفعل فضلًا عن الصفات الّتي كان يتمتع بها رسول الله- i - من الكرم والعلم والتقوى. ودليل على العلاقة الحميمة بين الرسول وسبطيه، ثمّ ذكر أنّ الحسن والحسين- K - هما وديعة الزّهراء، وهو هنا كنّى عن فاطمة ابنته، وهذا الاسم الأكثر شيوعًا للسيدة الجليلة فاطمة J .

ثمّ انتقل الشّاعر إلى واقعة كربلاء فقال- من الخفيف -:

من شهيدينِ ليس يُنسيني الطّفُّ	مُصابَيْهُما ولا كربلاءُ[٦٠]
ما رعى فيهما ذمامَكَ مرؤو	سٌ وقد خانَ عهدَكَ الرّؤساءُ
أبدلوا الودَّ والحفيظةَ في القُر	بى وأبدتْ ضِبابَها النّافقاءُ
وقستْ منهم قلوبٌ على مَنْ	بَكتِ الأرضُ فقدَهم والسّماءُ
فابْكِهم ما استطعتَ إنَّ قليلًا	في عَظيمٍ من المُصابِ البُكاءُ
كلُّ يومٍ وكلُّ أرضٍ لِكَرْبي	منهم كربلاء وعاشوراءُ

المقصود بالشهيدين الحسن والحسين- K -، فالحسن قُتل مسمومًا بتدبير من معاوية، والحسين شهيد كربلاء قُتل مظلومًا في أرض كربلاء هو وأصحابه وأهل بيته، ولعلّ مقتل الحسن- a - بداية الثّورة الحسينية، لقد اتفق الحسن في حياته بعد مقتل أبيه علي بن أبي طالب- a -، حيث كان خليفة للمسلمين وقتها مع معاوية بأن أعطاه الخلافة والحكم- وهو أعرف منّا لأنّه معصوم وأدرى بمصلحة الأمة - على أن يتسلّمَ الحسين- a - الحكم بعد هلاك معاوية، وقد قبِلَ معاوية هذه الاتفاقية، لكن معاوية عندما حضره الموت أوصى بالخلافة إلى ابنه يزيد، وبهذا أخلف ونقض الاتفاق. وحصلت أحداث كربلاء الدّامية وقتل سبط رسول الله وأصحابه وأهل بيته، وسبي عياله، فلم يرعوا حرمة لرسول الله في أهل بيته، فنسوا وصيه رسول الله بهم[٦١] .

وأمّا الوصية فقد ذكرها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ الشورى ٢٣، والمقصود في القربى آل رسول الله وهم ذريته من فاطمة الزهراء- J -.

نعم لم تغب هذه الوصية عن شاعرنا فقد وظّفها في شعره بقوله: (ما رعى فيهما ذمامك...) والذمام: العهد.

وذكر قسوة الأعداء، نعم كانوا بحق قساة القلوب؛ وذلك من خلال منع الماء عن عيال الحسين ومن معه، وقتلهم الرّضيع فقد ذبحوه من الوريد إلى الوريد، ثمّ سبي بنات رسول الله، حتّى بكت السّماء عليهم دمًا عبيطًا، وممن ذكر قضية بكاء السّماء هاشم معروف الحسني في كتابه سيرة الأئمة الاثني عشر المعصومين جاء فيه: (إنّ مقتل الحسين هزّ العالم الإسلامي وزلزل الأفئدة، وخيّل للناس من هول الصّدمة الّتي أصابتهم كأنّ الشّمس قد كسفت وأن النّجوم قد غارت وتناثرت، وأنّ السّماء تمطر دمًا...)[٦٢].

ثمّ يخاطب آل النّبي - d - فقال من الخفيف -:

آلَ بيـــت النّبـــيِّ أنّ فـــؤادي ... لـــيس يُســـليهِ عنـــكم التأســـاءُ[٦٣]

غـــيرَ أنّـــي فَوضـــتُ أمْـــري إلى اللّه ... وتفويضـــيَ الأمـــورَ الـــزّوراءُ

يخاطب الشّاعر آل البيت مستعملًا أسلوب النّداء، بأداة النّداء المحذوفة المقدرة، وبيّن أنّ قلبه كسير وحزنه طويل لا تزيله التأساءُ، ويقصد بها التّعزية، فيبدو أنَّ الكبتَ الّذي يحمله من داخله لا يعلمه إلّا الله، وهذا دليل على تعلقه بآل البيت- d -، ثمّ يفوّض أمره إلى الله ويحتسب أمره إليه.

ثُمّ يذكر شيئًا عن كربلاء فقال- من الخفيف -:

رُبَّ يـــومٍ كـــربلاءَ مُـــسيءٍ ... خففّـــتْ بعـــضَ وِزْرِهِ الـــزّوْراءُ[٦٤]

أراد بالزّوراء بغداد، والمقصود أنّ العبّاسيين ومقرّهم بغداد، قد خففوا من تلك الفاجعة بانتقامهم من الأمويين.

خامساً: ذكره لأصحاب النبي i :

يبدو أنّ الشّاعر شديدُ العلاقة برسول الله - i - وهذا واضح في شعره، وكما أسلفنا

أنّه مدح الرسول، وذكر معجزاته وآل بيته، وها هو الآنَ يذكر أصحابه الّذين تعلقوا به ونصروه وآووه طيلة حياته- i -، فقال - من الخفيف -:

وبأصحابِكَ الّذين همُ بَعْدَكَ فينا الهُداةُ والأوصياءُ
أحسنوا بعدَكَ الخِلافةَ في الدِّ ينِ وكلٌّ لما تولّى إزاءُ
أغنياءٌ نزاهةً فُقراءُ عُلَماءٌ أئمّةٌ أُمراءُ
زهدوا في الدُّنا فما عُرفَ المَيْلُ إليها منهم ولا الرُّغبَاءُ
أرخَصوا في الوغى نُفوسَ مُلُوكٍ حاربوها أسلابها إغْلاءُ
كلّهُمُ في أحكامِهِ ذو اجتهادٍ وصوابٍ وكُلُّهمْ أكْفاءُ
رَضِيَ اللهُ عنْهُمُ ورضُوا عَنْـ ـهُ فأنّى يَخطو إليهم خَطاءُ
جَاءَ قومٌ مِنْ بَعْدِ قومٍ بحقٍّ وعلى المَنهجِ الحَنيفي جاءوا(٦٥)

نراهُ يقفُ إجلالًا وتعظيمًا واحترامًا لأولئكَ النّفر الّذين اصطحبوا رسول الله - i - وتركوا أثرًا خالدًا، يدلُّ على عمق الشّعور بالمسؤولية المناطة بهم؛ كونهم قادةً للأمة بعد الرّسول، ولهذا وصفهم بأنّهم هُداة وأوصياء، كما أنّهم قد أحسنوا الخلافة الّتي خلفوا فيها الرّسول، فوصفهم بالأغنياء الفقراء، وقد وفق في استخدام الطباق في كلمتي (أغنياء وفقراء)، فهم أغنياء نفسًا لعفتهم وتركهم لمغريات الدّنيا الزّائلة، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ البقرة ٢٧٣، فالخلفاء فقراء في الحقيقة من جهة إنّهم لا يملكون المال، وفقرهم دليلٌ على أن أولئك الخلفاء أمناء على أموال النّاس، فهم لا يسرقون ولا يختلسون الأموال، ويُؤيّد ذلك قول الشّاعر: (زهدوا في الدُّنا....)، فكانوا زاهدين في الدّنيا وزخارفها، فلا يغرّنّهم حِطام الدّنيا الزّائف، وزهدهم هذا جعل منهم أن يرخصوا الأرواح من أجل رضا الله تعالى، لنصرة دين الله وجعله مهيمنًا على الدين كلّه.

ثُمّ وصفهم أنّهم كلّهم مجتهدون وذوو آراء صائبة، وهم، أكفاء في تحملهم للمسؤولية، وبما أنّهم زهدوا في الدّنيا، ورغبوا في الآخرة، نالوا رِضا الله، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المائدة ١١٩. وقد يصفهم بالسّير على النّهج الحنيفي، أي: المنهج الإسلامي، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة ١٣٥ وقال تعالى: ﴿مِلَّةَ

﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ النساء ١٢٥، وهذا المنهج هو المنهج المحمّدي الّذي ارتضاه اللهُ تعالى لهم، وهم رضوا عنه. وقد ذكر الخلفاء في مدحه متتبعًا التسلسل الزّمني في الخلافة، فإنّه يبدأ بأبي بكر الخليفة الأوّل، فقال- من الخفيف -:

كـأبي بَكْـرٍ الّـذي صَـحَّ للنّـا ... سِ بـه في حياتـك الإقـتداءُ[٦٦]

فقد وصف أبا بكرٍ بأنّه قدوة يُقتدى به في حياة رسول الله- i -، ثُمَّ يذكر أنّه كان مرافقًا للرسول فضلًا عن إنفاقه المال في سبيل الله وإرضاءً لرسوله، فقال - من الخفيف -:

أنفـقَ المـالَ في رِضـاكَ ولا مَـنٌّ ... وأعـطى جـمًّا ولا إكـداءُ[٦٧]

ويذكر الخليفة الثّاني، فقال- من الخفيف -:

وأبي حَـفصٍ الّـذي أظهـرَ اللّهُ ... بـه الـدَّينَ فـارعَوى الرُّقبـاءُ

والّـذي تَقْـرُبُ الأبـاعِـدُ في اللّه ... إليـه وتَـبْـعُـدُ القُـرَبـاءُ

عُـمَر بـن الخطّـابِ مَـنْ قولُـهُ الفَصـ ... ـلُ ومَـنْ حُكْمُـهُ السَّـويُّ السَّـواءُ[٦٨]

إنَّ الأبيات في مدح الخليفة الثّاني عمر بن الخطّاب، وقد كناه بكنيته المعروفة (أبي حفصٍ)، ويصفه بأنّه أظهر الإسلام من قتاله من أجل الدّين، واستعمل الفعل (ارعَوي) وأحسن اختياره في هذا الموضع، فيكون المعنى: ارتدع الرّقباءُ، ثمّ يصفه بالقول الفصل؛ لحكمته في فضّ النّزاع الّذي يكون أمامه.

ثُمَّ يذكر الخليفة الثّالث فقال- من الخفيف -:

وابـن عـفّـانَ ذي الأيـادي الّـتي طـا ... لَ إلى المصـطفى بهـا الإسـدَاءُ[٦٩]

حفـر البِئْـرَ جَهّـزَ الجيشَ أهـدى الـ ... ـهَدْيَ لـمـا أن صـدَّهُ الأعـداءُ

وأبى أن يطـوفَ بالبيـتِ إذ لـمْ ... يَـدنُ منـه إلـى النّـبيُّ فِنـاءُ

فَـجزتْهُ عنـها ببيعَـةِ رِضْـوا ... نِ يَـدٌ مِـنْ نبيـهِ بيضـاءُ[٧٠]

لقد مدح الشّاعر الخليفة الثّالث بهذه الأبيات، فوصفه ذا أيدي أسدى بها معروفًا، للحبيب المصطفى محمّد i ، ثُمَّ يذكر أنّه حفر بئرًا وتجهيز جيش من خلال إعطاء الهدي للجيش، وذكر قضية إبائه للطّواف في البيت إلّا أن يكون قريبًا من الرسول- i -، وهذا

دليل على تعلّقه بالرّسول الأعظم، ثمّ ذكر بيعة الرّضوان، وهي البيعة الّتي تمّت في الحديبية سنة ٦هـ، وسببها أنّ النّبيَّ- i - جاء ومن معه للعمرة، فمنعهم قريشٌ، وهم في الحديبية، فتفاوض معهم الرّسول، وتمَّ الصّلحُ بعد مفاوضات، وعُرف بصلح الحديبية نسبةً للمكان المعروف [٧١]، ونزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الفتح ١.

ثُمَّ يذكر الخليفة الرّابع الإمام علي بن أبي طالب - a - فقال- من الخفيف -:

وعلـــيٌّ صِـــنوِ الـــنّبيِّ ومَـــنْ دِيـــ ـــــنُ فُـــؤادي وِدادُهُ والـــوَلاءُ
ووزيـــرُ ابـــن عمِّـــه في المعـــالي ومِـــنْ الأهـــلِ تُسْـــعدُ الـــوزَراءُ
لم يـــزدْهُ كشْـــفُ الغِطـــاءِ يقينًـــا بَـلْ هُـوَ الشّمسُ ما عَليهِ غِطاءُ[٧٢]

لقد ذكر الشّاعر أنّ الإمام عليًّا- a - صنوٌ لرسول الله- i -، أي: شقيق أو ابن العم، وبهذا يذكر حقيقة القرابة بينهما. وأكّد أنّه وزير رسول الله- i -، فهو قد استند إلى حديث النّبي مخاطبًا الإمام: (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى)[٧٣] وكذا أكّد حقيقة أخرى أن الوزير وهو المساعد إذا كان من الأهل، وأضاف أنّ الإمام لم يزدهُ كشف الغطاء بروزًا، بل هو كالشّمس لا يخفيها حجاب، وهو كناية عن وجود استقلال وبروز شخصية الإمام- a -.

لم يقتصر مدح الأصحاب على الخلفاء الأربعة، بل شخصيات أخرى فقال- من الخفيف -:

وببـــاقي أصـــحابِكَ المُطهِـــرِ التَّـــرْ تِيـــبِ فيـــنا تفضيـــلُهم والـــولاءُ
وحواريّـــكَ الـــزّبيرِ أبي القَـــرْ مِ[٧٤] الـــذي أنجَبـــتْ بـــه أسمـــاءُ
طلْحِـــةِ الخَـــيرِ المُرتَضـــيهِ رفيقًـــا واحِـــدًا يـــومَ فـــرَّتِ الرّفـــقاءُ
وابـــن عـــوفٍ مَـــنْ هوَّنـــتْ نفسُـــه الدّنـ ـــيا ببـــذلٍ يُمـــدُّهُ إثـــراءُ
والمُكنّـــى أبـــا عُبيـــدةَ إذ يَعـــ ـــزي إليـــه الأمانـــةَ الأمنـــاءُ

لقد مدح الشّاعر الصّحابي طلحة الّذي اشترك في حرب الجمل، بل كان من قوّادها، وهذا الصّحابي قد أحدث فتنةً مع رفيقه الزبير بن العوام، إذ أشعلا نار حرب الجمل الّتي حصلت سنة ٣٦هـ في البصرة، بموضع يقال له (الحُريبَة)[٧٥] أيام خلافة الإمام علي a ، فأرسل إليهم الإمام - a -: ما تطلبون؟ وما تريدون؟ قالوا: نطلب بدم عثمان ! قال الإمام - a -: لَعَنَ اللهُ قتلةَ عثمان ! واصطف أصحاب عليّ فقال لهم: لا ترموا بسهمٍ،

ولا تطعنوا برمحٍ، ولا تضربوا بسيفٍ،فرمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين، فأتي به إليه، فقال: اللهمّ اشهد، فرمى آخر فقتل رجلاً من أصحاب علي، فقال: اللهمّ اشهد، ثمّ رمى رجل آخر فأصاب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله، فقال عليٌ: اللهمّ اشهد، ثمّ كانت الحرب(٧٦).

ثمّ وصف الشّاعر الزّبير بالحواري وهو الناصر، أو ناصر الأنبياء، والزبير بن أسماء بنت أبي بكر الخليفة الأول، فهو ابن أخت عائشة زوج الرّسول i ،. وهي كانت في المعركة آنذاك، إذ كانت من المطالبين بدم عثمان الذي قتل سنة ٣٥ هـ.

ثم ذكر الصّحابي عبد الرّحمن بن عوف وأبا عبيدة الجراح، ذاكرا فضائلهم، نجد في هذه الأبيات سجّلا حافلا لمآثر الصّحابة، حتّى أنّ هذه الأبيات تكاد تكون تخلو تماماً من العاطفة والخيال.

سادساً: التّوسل بشخصية الرّسول i :

ما زلنا في الجانب الدّيني، ومنه التّوسّلُ برسول الله - i -فقد توسّل بالرسول واستغاث به، لإزالة الهمّ الّذي يعانيه، كما أوضح أنّه مذنبٌ، وظالمٌ لنفسه، فلا يجد منقذاً وكاشفًا لهمّه إلّا الله تعالى بوساطة هادي الأمّة ومنقذها النّبي محمّد- i -، فقال- من الخفيف -:

قد رَجونـاكَ للأمـورِ الّتـي أبْـ ... ـرَدُها فـي فؤادِنـا رَمْضـاءُ

وأتينـا إليـكَ أنضـاءَ فَـقْر ... حملتْنـا إلـى الغِنـى أنضـاءُ

وانطـوتْ في الصُّـدورِ حاجـاتُ نفس ... مـا لهـا عـن نَـدى يَـديْكَ انطـواءُ

فأغثنـا يـا مَـنْ هُـوَ الغَـوْثُ والغَيْـ ... ـثُ إذا أجْهَـدَ الـوَرى الـلأواءُ

والجَـوادُ الّـذي بـه تُفـرَجُ الغُمَّـ ... ـةُ عنّـا وتُكشَـفُ الحوبـاءُ

يـا رحيمًـا بـالمؤمنينَ إذا مـا ... ذَهِلـتْ عـن أبنائهـا الرُّحَمـاءُ

يـا شـفيعًا في المـذنبينَ إذا أشـ ... ـفـقَ مـن خـوفِ ذَنْـبه البُـراءُ

جُـدْ لعـاصٍ ومـا سـوايَ هـوَ العـا ... صِـي ولكـنْ تَنكُّـري اسْتحيـاءُ

وتداركْـهُ بالعنايـةِ مـا دا ... مَ لـه بالذّمـامِ منـكَ ذَمـاءُ

أخّرتْـه الأعمـالُ والمـالُ عمّـا ... قـدَّمَ الصّالحـونَ والأغنيـاءُ

كـــلُّ يـــومٍ ذنـــوبه صاعـــداتٌ ... وعليهـــا أنفـــاسُهُ صُعَـــداءُ
أِلِـــفَ البِطْنَـــةَ المُبطِّئَـــةَ السَّيـــ ... ـــرَ بـــدارٍ بهـــا البِطـــانُ بِطَـــاءُ[٧٧]
فبكـــى ذَنْبـــهُ بقســـوةِ قَلْـــبٍ ... نَهَـــتِ الدَّمـــعَ فالبكـــاءُ مُكـــاءُ[٧٨]
وغـــدا يَعْتِـــبُ القضـــاءُ ولا عُـــذْ ... رَ لِعـــاصٍ فيمـــا يَسُـــوقُ القضـــاءُ
أَوثقتْـــهُ مِـــنْ الـــذُّنوبِ دُيـــونٌ ... شَـــدَّدتْ في اقتضـــائها الغُرَمَـــاءُ
مـــا لـــهُ حِيلَـــةٌ سَـــوَى حِيلـــةُ المُـــو ... ثَـــقِ إمّـــا تَوسُّـــلٌ أو دُعَـــاءُ

سابعًا: التوسل بآل الرّسول i :

وبعميْـــكَ نَيّـــرَي فُلَـــكِ المَجْـــ ... ـــدِ وكـــلٌّ أتـــاهُ منـــكَ إتـــاءُ[٧٩]
وبـــأمِّ السّبطيـــنِ زَوْجِ عـــليٍّ ... وبنيهـــا ومَـــنْ حَوَتْـــهُ العَبـــاءُ[٨٠]
وبأزواجِـــكَ الـــلّواتي تَشَرّفْـــ ... ـــنْ بـــأن صـــانهُنَّ منـــكَ بِـــناءُ[٨١]

وهنا ذكر الشّاعر عمي الرّسول i ، وهما حمزة والعبّاس ابنا عبد المطلب، إذ وصفهما بالنيرين فهما رجلان شجاعان ذادا عن الإسلام بسيفيهما عن الإسلام والمسلمين حتّى نالا المكانة العالية. واستعمل الكناية عن الزهراء فاطمة J بقوله: (أم السبطين)، والسّبطان و هما الحسن والحسين K . ثمّ استمر التّوسّل بزواجاته i ، فهنّ أمهات المؤمنين، ونالهنّ الشّرف الرّفيع بسبب انتسابهن لرسول الله.

ثامناً: ذكره الأنبياء:

النّبي سليمان a ، فقال - من الخفيف -:

نَقَضُـــوا مُـــبرَمَ الصّحـــيفةِ إذ شَـــ ... ـــدَّتْ عليهم مـــن العِـــدا الأنـــداءُ
أذْكَرتنـــا بأكلِـــها أكـــلَ مِنْســـأ ... ةِ سُـــليمانَ الأرضـــةُ الخَـــرساءُ[٨٢]

في البيتين ربط الشّاعر قضية أكل الأرضة لصحيفة قريش في الحادثة المعروفة، ولم يبق منها إلّا عبارةُ باسمك اللهم، كذلك منسأة النّبي سُليمان a ، عندما كان يخطب في الجن وأدركه الموت، وقد مات وهو متكأ على منساته وبقي زمنًا، فمال دلّهم على موته إلّا حشرة أكلت منسأته التّي كان يتكأ عليها، فلمّا أكلت عصاة خرّ وسقط، وإذا هو ميت، فقال الجن

لو كنّا نعلم بموته ما لبثنا في الانتظار، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ سبأ ١٤.

ذكره ابني آدم وأبناء يعقوب K :

فقال من - الخفيف -:

قد علمْتُم بِظُلْمِ قابيل هابيلَ ومظلُومُ الإخوةِ الاتقاءُ

وسمِعتُم بِكَيْدِ أبناء يعقو بِ أخاهم وكلُّهم صُلحاءُ(٨٣)

إنّ ذكر الشّاعر للأنبياء وأولادهم دليلٌ على ثقافته الدّينية العميقة، وميوله واتجاهه الدّيني.

ذكره عيسى a :

وذكر نبي الله عيسى a ، فقال - من الخفيف -:

أمْ سِواهم هُوَ الإلهُ فما نِسْبَةُ عيسى إليه والانتماءُ(٨٤)

وهنا الشّاعر ينفي نسبة النّبي عيسى - a - لله، فهو في قرارة إيمانه عبداً لله، لا كما يتصوّر النّصارى إنّه ابن الله.

ذكره موسى a :

فقال - من الخفيف -:

ما لموسى وَلا لعيسى حَوارِيُّ ونَ في فضلِهم ولا نُقبَاءُ(٨٥)

يبدو الشّاعر بمدحه أصحاب الرسول i بأنّهم أفضل من حواريي عيسى وموسى K .

تاسعًا: وذكره لحوادث مرّ بها النّبي محمّد i

فقال - من الخفيف -:

ذكر النّبي محمد فضلا عن مدحه، فقد ذكر حادثة دسّ السّمّ من قبل المرأة اليهودية، التّي دست السمَّ له باللّحم ومنه الذّراع التّي كان يحبّها فقال - من الخفيف -:

ثمّ سَمّـــتْ لـــه اليهوديـــةُ الشّـــا ... ةَ وكـــم ســـامَ الشُـــقْوَةَ الأشقيـــاءُ
فـــأذاعَ الـــذّراعُ مـــا فيـــه مـــن شـــرٍّ ... بِـــنُـــطْقٍ إخفـــاؤهُ إبـــداءُ[٨٦]

عاشراً: الدّيانات الأخرى في شعره.

لقد ردّ الشّاعر على عقيدة التّثليث، فخاطبَ النّصارى، قال- من الخفيف -:

كَيْـفَ وحّدْتُـم إلـهًا نفـى التّـو ... حِيـدَ عنـه الآبـاءُ والأبنـاءُ
أ إلـهٌ مُـركّـبٌ مـا سَمِعْـنا ... بـإلـهٍ لـذاتـه أَجْـزَاءُ
أ لِـكُلٍّ منـهم نَصـيبٌ مـن المُلْـ ... ـكِ فَهَـلا تمَيَّـزُ الأنصِبـاءُ
أم هُـمُ حَلّلُـوا بِهـا شِـرْكةَ الأَبـ ... ـدان أمْ هُـمْ لبـعضهم كُفَـلاءُ[٨٧]

لم تقتصر ثقافة الشّاعر على الثّقافة الإسلامية، بل تعدتها إلى الدّيانات الأخرى، فقد ذكر عقيدة المسيحيين اليعاقبة[٨٨]، الّذين كانوا يعتقدون أنّ الله متحد بالمسيح- a -، وقد كفّرهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المائدة ٧٢.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة ١٧، فهاتان الآيتان تشيران إلى العقيدة الفاسدة عند فرقة من النّصارى، وهم ما يُسمّون باليعاقبة. الّذين يقولون بالحلول أو الاتحاد وهو أنّه حلّ الأب في الابن واتّحد به فكوّن روح القدس، تنزّه اللهُ عمّا يصفون. وقد وظّف شاعرنا هذه الأفكار الّتي تناولها بشيءٍ من السّخرية بسؤالهم عنها. وقد سألهم سؤالين: كيف وجدتم إلهًا واحداً؟ وآباؤكم نفوا عنه التوحيد!.

وهناك فرقةٌ أخرى تسمّى (الملكانية والنسطورية) الّذين يقولون بالأقانيم[٨٩] الثلاثة أو الآلهة الثلاثة، ولها رأيٌ يختلف عن غيرهم، وبلا شكٍّ في أنّها عقيدة فاسدة، فهذه الفرقة قالت بالتثليث، وقد كفّرهم القرآن الكريم أيضًا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة ٧٣، ويرد القرآن

عليهم ردًّا قاطعًا فيقول: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ المائدة ٧٣، فأمّا الثلاثة فهم: الأب والكلمة والرّوح القدس، فالأب هو الله، والمسيح هو الكلمة، أي: الابن، ثمّ حلّ الأب في الابن واتحد به فكوّن الرّوح القدس، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة هو عين الآخر، وهو غيره(٩٠).

ونلاحظ سخريته من عقيدتهم، فقال- من الخفيف -:

أهُــوَ الرّاكِــبُ الحمــارَ فيــا عَجْــزَ إلــــهٍ يَـمَسُّـــــهُ الإعـــــياءُ(٩١)

يسخر الشّاعر من عقول أولئك الأقوام الّذين إلههم يركب الحمار، وإنّ ركوب الحمار دليلٌ على عجز راكبه، فأنّه تعب فيحتاج إلى الرّاحة فيركب الحمار، فكيف يكون إلهًا وعاجزًا!.

ثُمّ يحاورهم عن نسبة عيسى - a - كونه ابنًا لله تعالى، فيقول- من الخفيف -:

أم هــــو ابـــن اللّه مــا شاركتــــه فـــي معــاني النّبــوّةِ الأنبيــاءُ(٩٢)

يقول الشّاعر لو كان عيسى ابنًا الله كما تزعمون، فلمَ لم تشاركه الأنبياء الّذين سبقوه في هذه الخاصية؟، فكانوا هم أبناء لله أيضًا، ولو واحد منهم.

وأمّا اليهود وأفكارهم لم تغب عن الشّاعر، فبعد أنْ فنّدَ عقيدة النّصارى، وسخر منهم فقد وصف قولهم بالهراء، فقال- من الخفيف -:

إنّ قولًــا أطْلقتُمُــوهُ عَلــى اللّه تعالــى ذكــرًا لقــولٌ هــراءُ(٩٣)

ثُمّ انتقل إلى تفنيد عقيدة اليَهود وبَيان ضعفها، فقال- من الخفيف -:

مِثْــلَ مــا قالــتِ اليَهــودُ وكُــلٌّ لَزِمتْــــهُ مقالــــةٌ شنــــعاءُ
إذ هــم اسَتقْــرَءوا البَــداءَ وكــم سـا قَ وبِــــالًا إلــيــــهم استــــقراءُ
وَأَراهــم لم يجعلُــوا الواحــدَ الــ ـقهّــارَ في الخَلْــق فاعلًــا مــا يشــاءُ
جــوَّزُوا النّسـخَ مِثْلَمــا جــوّزوا المَسْـخ عَليــهِم لــو أنّهــم فُــقهــاءُ
فَســلُوهم أكــانَ في مســخِهم نَسْــخٌ لآيــــاتِ اللّه أم إنشــــاءُ
وبــــدا في قــولــــهم نَــدِم اللّه عــــلى خَــلْــــقِ آدم أمْ خَــطاءُ
أم محــا اللّه آيــةَ الليــلِ ذِكْــرًا بعــدَ سَـهْــوٍ ليوجَــدَ الإمــاءُ

أم بـــدا للإلـــهِ في ذَبْـــحِ إسْحـــا ... قَ وقـد كـــان الأمـــرُ فيـــه مَضـــاءُ
أو مـــا حـــرَّمَ الإلـــهُ نِكـــاحَ الأُخـــ ... ـــتِ بعـــد التّحليـــلِ فَهْـــوَ الزّنـــاءُ
لا تُكَـــذِّبْ إنّ اليَهُـــودَ وقـــد زا ... غـــوا عـــن الحـــقِّ مَعْشَـــرٌ لُؤَمَـــاءُ
جَحـــدوا المصـــطفى وآمـــنَ بالطـــا ... غُـــوتِ قـــومٌ هـــم عنـــدهم شرفـــاءُ
قتلـــوا الأنبيـــاءَ واتَّخـــذوا العِجْـــ ... ـــلَ ألا إنّهـــم هـــم السُّفهـــاءُ
وَسَـــفيهٌ مـــن ســـاءه المـــنُّ والسَّـــلْوى ... وأرضـــاهُ الفـــومُ والقِثَّـــاءُ
مُلِئَـــتْ بالخبيـــثِ منـــهم بُطُـــونٌ ... فَهِـــيَ نـــارٌ طِباقُـــها الأمعـــاءُ
لـــو أُرِيـــدوا في حـــالِ سَـــبْتٍ بخـــيرٍ ... كـــان سبـــتًا لديهـــمُ الأَربعـــاءُ[٩٤]

في الأبيات نجد أنَّ الثّقافة الدّينية بارزةٌ فيها، فهو ينقل صورة عن واقع اليَهود الّذين عاشوا في ظِل العصر الإسلامي، وقد بيّنَ انحرافهم وسُوء معتقدهم وأفكارهم من مثل البداء، فنحن المسلمين لا نقول بالبداء؛ لأننا نؤمن بأنّ الله تعالى يعلم الغيب وما تكن الصّدور ويعلم ما في الأرحام وهو على كل شيءٍ قدير، والبداء في الإنسان أن يبدو له رأيٌ في شيءٍ لم يكن له ذلك الشيء في حسبانه سابقًا كأن يتبدل عزمه في العمل الّذي كان يريده؛ وهذا يُحدث عنده تغيير في رأيه، فيبدو له تركه أو إحداث تغييرات فيه أو ما شاء من التّغيير، طبقا لمصلحته؛ لكي لا يندم على فعل قام به[٩٥]. أمّا الله تعالى فإنّه منزّه عن هذه الصّفة، فهو علّام الغيوب. فلم يكن فداءُ إسماعيل بذبحٍ عظيم بِداءً منه. ثمّ بيّن حال اليهود الّذين ذكرهم القرآن الكريم في سورة البقرة، عندما فضلوا واستبدلوا الّذي هو أدنى بالّذي هو خير، كتفضيلهم الفوم والعدس والبصل والقثّاء على المَنّ والسّلوى، الّذي هو طعام لذيذ جدًّا، مكوّن من الحلوى ولحم الطّير اللّذيذ، وقد وصفهم بالسّفه،- والسّفيه هو الّذي لا يُحسن التّصرّف-، كالأطفال كما وصفهم القرآن؛ أنّهم لا يُحسنون التّصرف لا سيّما في الأموال، بقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ النساء ٥، ونقل عنهم أعمالهم السّيئة من مثل تكذيب النّبي- i -، واتّخاذهم العجل إلهًا، وقتلهم الأنبياء بغير حق، واصطياد الأسماك يوم السّبت وقد نهاهم الله تعالى عن الصيد في يوم السّبت حتى مسخهم قردةً وخنازير وحيوانات أخرى.

نتائــج البحث:

١- اتّخذ البحث جانبًا معينًا ألا وهو الجانب الدّيني عند الشّاعر، في قصيدة واحدة هي الهمزية من ديوانه.

٢- اللّغة الّتي استعملها الشّاعر لغة بسيطة واضحة خالية من التّعقيد والغموض.

٣-العاطفة الغالبة على القصيدة متنوّعة، تكون فيها الحماسة والإثارة كما في مدح الرسول، وتكون حزينة عند شعوره بالنّدم والتقصير، فنجده يطلب العطف والصفح مما جناه من عمل سيء، وتكون فرحة عندما يسخر ويستهزأ من المنحرفين الّذين لم يستخدموا عقولهم، فيبين سذاجتهم، حيث تجده منتصراً وفخوراً؛ لأنّه اتّبع أفضل الأديان دين محمّد - i -.

٤- في بعض أبيات القصيدة لا نجد عاطفة فيها، وكأنّك تقرأ حوادث تاريخية مرّت في ذلك العصر.

٥- اعتمدت القصيدة على بحر واحد هو بحر الخفيف.

٦- نجد شخصية الشّاعر بارزة واضحة من خلال ثقافته الدّينية ينمّ على اطلاعه العميق في القرآن الكريم، وعلوم العربية من النّحو والبلاغة، والثقافة الموسوعية عنده..

٧-استخدم الشّاعر نظام الشّطرين في قصيدته، أعني الصّدر والعجز وهو نظام الشّعر القديم.

٨-كشفت الأبيات السّلوك الحقيقي للشاعر لاسيّما تدينه من خلال تعلّقة بالرّسول- i -، وأصحابه، وأهل بيته- d -.

٩- يحاكي شعرُ شاعرنا الشّعرَ القديمَ من حيث رصانته وأسلوبه.

١٠- يهتم الشّاعر بالتسلسل التّاريخي للأحداث، سيّما في ترتيب الخلفاء الأربعة، فضلا عن عصور التّاريخ فقدّم بني أمية على العبّاسيين وهكذا.

هوامش البحث

(١) – الزركلي، الأعلام، ١٣٩/٦.

(٢) – ينظر، فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تح إحسان عبّاس، دار صادر، ط٣، ٢٠١٢م- ١٤٣٣هـ، ج٣، ص٣٦٢.

(٣) – لقد ذكر أصله في شعر له يقول:

فقل لنا من ذا الأديب الذي ... زاد به حبّي ووسواسي

إنّ مثلي مغربيًا فما ... في صحبة الأجناس من ياس

ينظر هامش ديوانه، تح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ، ص٦.

(٤) – ينظر ترجمته في ديوانه، تح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط٢، ٢٠٠٥-١٤٢٦هـ، ص ٥.

(٥) – المرجع السابق نفسه .

(٦) – المرجع السابق ص٦.

(٧) – المرجع السابق نفسه.

(٨) – فوات الوفيات، ص٣٦٢ ، مرجع سابق.

(٩) – الصحاح، الجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ج٢، ص٨٠٩.

(١٠) – خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، بولاق، القاهرة، ١٢٧٣هـ، ج٢، ص٢٤٢. وينظر البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩٩،ص١٥٠.

(١١) – ديوانه، تح أحمد حسن بسج، ص١١، والعصف من الزرع: حطام التبن ودقاقه، واستشرف الشيء: رفع رأسه ينظر إليه.

(١٢) – ديوانه، ص١٢.

(١٣) – ديوانه، ص١٥.

(١٤) – ينظر تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي ج١٣، ص٢٩٥.

(١٥) – ينظر ديوانه، ص١٤ .

(١٦) – ينظر تاريخ اليعقوبي، مط شريعت، ط١، ١٤٢٥هـ، ج٢، ص٣١.

(١٧) – ينظر تاريخ اليعقوبي، المرجع السابق ج٢، ص٣١.

(١٨) – ينظر ديوانه، ص ١٩، والزكاء: النماء .

(١٩) – ينظر تفسير المعين، محمد هويدي، ص١٩٠.

(٢٠) – ديوانه، ص٢٠.

(٢١) – ديوانه، ص٢٠.

(٢٢) - تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ٢٠٠٥، بيروت - لبنان، ج١٣، ص١٣٠.
(٢٣) - ديوانه، ص٢٢.
(٢٤) - ديوانه، ص٣٠، قمطرير: شديد، ودرعاء: مظلمة.
(٢٥) - المصحف المفسّر، محمد هويدي، ص٥٧٩.
(٢٦) - ديوانه، ص٣١.
(٢٧) - ديوانه، ص٢٣.
(٢٨) - ينظر تفسير الأمثل، ج٥، ص١٦٧.
(٢٩) - ديوانه ص ٢٧.
(٣٠) ديوانه ص٢٨.
(٣١) - ديوانه، ص١٥. الفهر: الحجر يملأ الكهف، الورقاء: الحمامة .
(٣٢) - ينظر تفسير كلمات القرآن، منشورات الفجر، ص٨.
(٣٣) تفسير الكاشف محمد جواد مغنية، ج١، ص١٠٥.
(٣٤) - ديوانه، ص٢٢.
(٣٥) - عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، تقديم حامد حنفي داود، قم إيران، مؤسسة أنصاريان، ط٨، ٢٠٠٤، ص٥٣.
(٣٦) - ينظر العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، جعفر السبحاني، ار المعارف، بلا ت ص ١٢٢-١٢٣ .
(٣٧) - ديوانه، ص١١.
(٣٨) - اقول: كرامات رافقت هذه الرضاعة؛ لأنّ الكرامة شيءٌ خارق للعادة صدر من النّبي وهو رضيع، فإنّه لم يدّع النبوّة ؛ لأنه لم يكلف بالنبوة فأمره إلى الله في التبليغ، فالأمور الغريبة الخارقة للعادة في هذه الفترة ما هي إلّا كرامات خصّ بها الله تعالى عبده .
(٣٩) - ينظر السيرة النبوية، زيني دحلان، ج١، ص٣٥ و٣٦. و موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي الغروي، قم - إيران، ١٤١٧هـ، ج١، ص ٢٦٣.
(٤٠) - ديوانه، ص١١.
(٤١) - أتراب لي من الصبيان: متساوون في العمر،
(٤٢) - الجلّة بالفتح: بعر البعير، ومنه الأبل الجلاّلة، وهذا يبعدنا عن تصديق الخبر كما ذكر صاحب كتاب موسوعة التاريخ الإسلامي محمد هادي الغروي، ج١،ص٢٦٧.
(٤٣) - تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ج٢، ص١٦٠.
(٤٤) ديوانه، ص١١.

(٤٥) – ديوانه، ص١٢.

(٤٦) – ينظر السيرة الحلبية، علي بن رحمن الشافعي، ١: ١٢٩، و موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ج١، ص٣٢٠.

(٤٧) ديوانه، ص١٣.

(٤٨) – ينظر شرح الديوان، ص١٣شرح أحمد حسن بسج .

(٤٩) – ديوانه، ص١٣، والحمامة الحصداء: الحمامة الكثيرة الريش.

(٥٠) – تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٩.

(٥١) – ينظر السيرة النبوية، ابن كثير، ج٢، ص١١٦و١١٧، وينظر صحيح مسلم . ٤: ٢٤٣، وحياة محمد، باقر شريف القرشي، تح مهدي باقر القرشي، ج١، ص٢٤٤.

(٥٢) – المرجع السّابق نفسه.

(٥٣) ديوانه، ص١٧.

(٥٤) – ديوانه، ص١٣، والقعساء: الثابتة.

(٥٥) – ديوانه، ص٩.

(٥٦) – ينظر حاتم ريسان هاشم، أطروحة دكتوراه (جدلية الجمود والتغيير في التفاعل اللغوي مع الثقافة عبر الشعر) الجامعة الإسلامية في لبنان، ٢٠١٧، ص١٨٢.

(٥٧) – ديوانه، ص١٦.

(٥٨) – ديوانه، ص٢٦.

(٥٩) – الحسن بن علي، كامل سليمان، دار التعارف، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م، ص٢٠.

(٦٠) – ديوانه، ص٢٦، الشهيدان هما الحسن والحسين، فالأوّل مات مسموماً، والثاني قتل في الطف بمحلّة كربلاء، والطّف: ما أشرف من ارض العرب على ريف العراق، والذمام: العهد .

(٦١) – الحسن بن علي، مرجع سابق، ص٩١.

(٦٢) – سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، دار التعارف، بيروت –لبنان، ١٤٠٦هـ-- ١٩٨٦-، ج٢،ص٧٨.

(٦٣) – ديوانه، ص٢٧، والتأساء: التعزية.

(٦٤) – ديوانه، ص٢٧.

(٦٥) – ديوانه، ص٢٧.

(٦٦) – ديوانه، ص٢٨.

(٦٧) – ديوانه، ص٢٨، والإكداء: وقف العطاء.

(٦٨) ديوانه، ص٢٨.

(٦٩) – ديوانه، ص ٢٨.

(٧٠) - ديوانه، ص٢٨.

(٧١) - السيرة النبوية، ابن هشام، ٣: ٣٣٠، ودليل الحاج إلى مكة والمدينة، مرتضى الميلاني، دار جواد الأئمة، ط٧، ٢٠١٦،- ١٤٣٧هـ، ص٢٣.

(٧٢) - ديوان، ص٢٨.

(٧٣) - مسند أحمد ١: ١٧٣، ١٨٢، وصحيح البخاري - فضائل علي: ح ٣٥٠٣، وصحيح مسلم فضائل علي، ح ٢٤٠٤، ومصنف أبي شيبة، فضائل علي ٧: ٤٩٦ح١١-١٥، نقلا عن تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي، صائب عبد الحميد، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، ط٢، ١٤٢٦ه، و النص والاجتهاد، عبد الحسين شرف الدين، دار الأندلس، ص١٦١-١٦٢. ومفاتيح الجنان، عبّاس القمي، دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٨، ص٥٩٢.

(٧٤) - القَرْم: الفحل ينظر الديوان، ص٢٨ .

(٧٥) - ينظر تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٢.

(٧٦) - المرجع السابق نفسه .

(٧٧) - ديوانه، ص٣٠، والبطنة: النّهم في الطعام والشراب.

(٧٨) - ديوانه، ص٣٠، المُكاء: الصفير بالفم.

(٧٩) - يريد بعميك: حمزة والعباس ابني عبد المطلب.

(٨٠) - المقصود بالعباء: أصحاب الكساء وهم فاطمة وعلي والحسن والحسين بالإضافة إلى الرسول.

(٨١) ديوانه، ص٢٩.

(٨٢) ديوانه، ص١٥.

(٨٣) ديوانه، ٢١

(٨٤) ديوانه، ص٢١

(٨٥) ديوانه، ٢٧.

(٨٦) ديوانه، ص١٥.

(٨٧) - ديوانه، ص٢١.

(٨٨) - تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ج٤، ص٧٧.

(٨٩) - الأقنوم بمعنى الأصل أو الذات وجمعها أقانيم .

(٩٠) - التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، منشورات الرضا، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٣-١٤٣٤هـ، ج٣، ص ١٠٣.

(٩١) - ديوانه، ص٢١.

(٩٢) - ديوانه، ص٢١.

(٩٣) - ديوانه،ص٢١.

(٩٤) - ديوانه، ص٢٠.

(٩٥) - عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، تقديم حامد حنفي داود، قم- إيران، ص٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم

١- الأعلام، خير الدّين الزّركلي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٦.

٢- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣- البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩٩م.

٤- تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي، صائب عبد الحميد، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٥- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، انتشارات المكتبة الحيدرية . بلا ت .

٦- التفسير الكاشف، محمّد جواد مغنية، منشورات الرضا، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٣هـ - ٢٠١٣م.

٧- التفسير المعين، محمد هويدي، دار المغرب، ١٤٢٥- ٢٠٠٤م.

٨- جدلية الجمود والتغيير في التفاعل اللغوي مع الثقافة عبر الشعر، أطروحة دكتوراه، حاتم ريسان هاشم، الجامعة الإسلامية في لبنان، ٢٠١٧.

٩- الحسن بن علي، كامل سليمان، دار التعارف، بيروت - لبنان، بلا ت .

١٠ حياة محمّد، باقر شريف القرشي، تح مهدي باقر القرشي، ط٩، الوريدي، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

١١ - خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، ط٢، دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ١٩٩١.

١٢ - دليل الحاج إلى مكة والمدينة، مرتضى الميلاني، دار جواد الأئمّة، ط٧، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

١٣ - ديوان البوصيري، تقديم أحمد حسن بسْج، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٤ - سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، دار التّعارف، بيروت - لبنان، بلا ت .

١٥ - السيرة الحلبية، علي بن برهان الحلبي الشافعي ، دار المعرفة و بيروت ، ١٩٨٠.

١٦ - السيرة النبوية، ابن هشام، تح طه عبد سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥.

١٧ - الصحاح، الجوهري، تح شهاب الدّين أبو عمرو، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م.

١٨ - صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج النيسابوري، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ، ١٩٧٨م.

١٩ - عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، تقديم حامد حنفي داود، قم - إيران، بلا ت .

٢٠ - العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، جعفر السبحاني، دار التعارف، بلا ت .

٢١ - فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢٢ - موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، قم - إيران، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٣ - النص والاجتهاد، عبد الحسين شرف الدين، دار الاندلس، بلا ط، بلا ت .